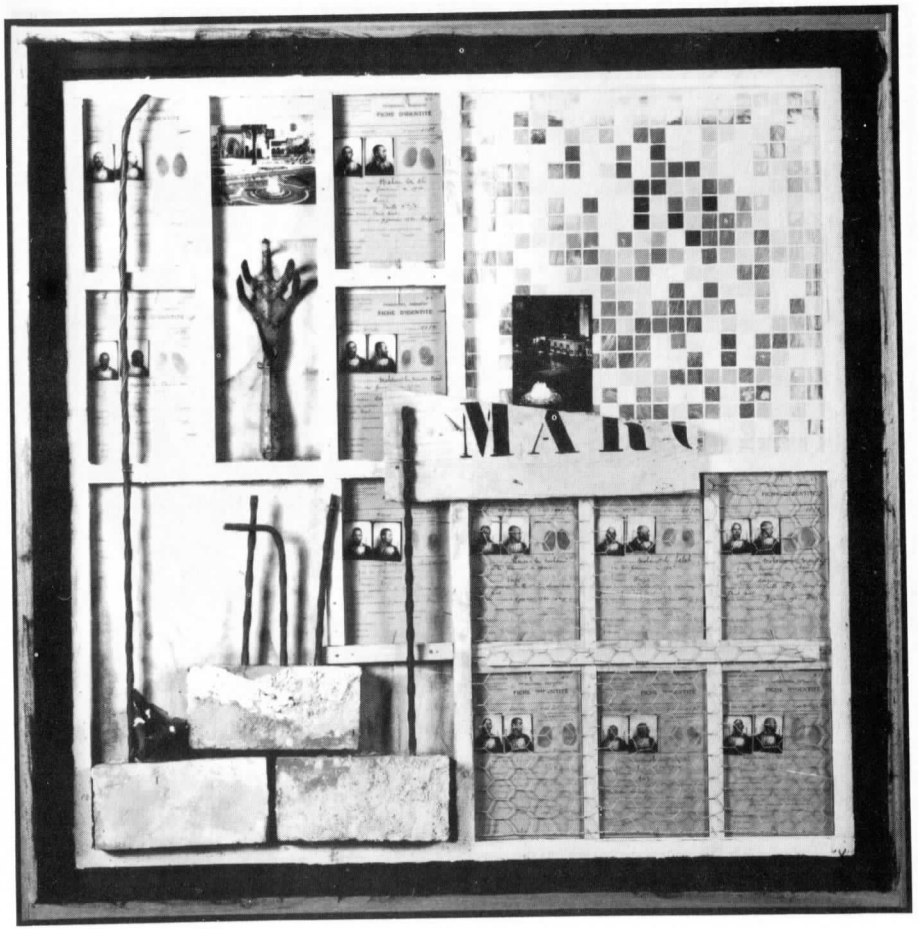

ورشة

1,07 × 1,07 - 1982

يجب وضع حد للخلط المعمم بكل استعجال...

١٩٧٠

الضواحي الجنوبية مستمرة في التحول الى مدن صغيرة. وبالرغم من أن بعض مساحاتها لا زالت محتفظة بآثار وظيفتها القديمة، كأسواق تجارية، وبشيء من نمط العيش في البادية، فان تطبيع السكن والسكان جار على قدم وساق.

عائلة فرنسية من رجل وامرأة وثلاثة أطفال تسكن منزلا خشبيا يتكوّن من غرفتين: كل أفراد العائلة ينامون في غرفة، ويقيمون في الغرفة الثانية التي تم تنظيمها على شكل مطبخ مؤثث ومجهز بفرن وتلفزة وثلاجة ومغسلة. الا أن الماء يوجد خارج المنزل، في ساحة كبيرة بها شجرة، يسدّها باب حديدى ويحرسها كلبان.

قالت المرأة: "انهم يريدون تحطيم كل شيء هنا، لكنني لن أقبل بالسكن في شقق "الهاشيليم". انني أتمتع بكل وسائل الراحة في منزلي، كما أتمتع بالمساحات الفارغة. وأنا لا أطلب أى شيء من أى أحد، وأعرف أنهم لن يقبلوا بوجود كلبيّ في عمارة، وأنا لا يمكنني أن أعيش بدونهما. وسأطلقهما يفترسان أول من سيقترب الى لمحاولة طردى من بيتي"...

خلف المصنع القديم الذى تقرر تحطيمه، توجد منازل خشبية بناها رب المعمل في القرن الماضي لاسكان عماله. ولا يزال زوجين مسنين يسكنان هناك منذ سنة ١٩٣٨، كما تسكن ابنتهما المنزل المجاور هي وزوجها الايطالي الذى غادرت جاليته المنطقة تدريجيا. في الحديقة توجد شرفة وسط قطعة أرض مخصصة للخضر، وأخرى للزهور. ولقد جلس الرجل يطالع صحيفة في المطبخ التي تم تدهينه من جديد، الى جانب زوجته التي تخيط بآلتها مجموعة من الفساتين طلبها منها صانع باريسي.

أما المنزل المجاور الذى اشتروه منذ ٢٠ سنة خلت، فيستعملونه للغسيل، وتوجد به ورشة مجهزة بآلتين صناعيتين تعمل عليهما المرأة خلال الصيف، كما توجد غرفة حفيدها.

قالت المرأة: "لماذا سأذهب الى "الهاشيليم"؟ انهم سيمنحوننا غرفتين، حيث لن أتمكن من وضع آلاتي. وأين سيكون المستودع؟ وقاعة الادوات؟ ان زوجي لن يتمكن من القيام بأشغال التصليح. فماذا سيكون مصيرنا؟ هذا بغض النظر عن

الخسارات المادية. ونحن ليس لنا من مورد سوى التقاعد الخاص بالعمال المسنين. أما بالنسبة للشباب، فان الامر يختلف. ابنتي تريد الذهاب الى هناك حيث ستحصل على مسكن أكبر، زيادة على أن الشقة الجديدة تكون صيانتها أسهل، خاصة بالنسبة لمن يشتغل خارج منزله. انني أقوم هنا بغسل ثيابنا جميعا. أما هناك فليس من المؤكد أن نكون حتى جيران".

ـ اسماعيل البرتغالي يسكن غرفتين تم بناؤهما بشكل ملفق الى جنب منزل المجموعة الاسبانية التي تنتمي اليها زوجته. وهو شاب مقدام ينوى اقامة مخبزة ومتجر للحلويات بمدينة فالادوليد.

قال اسماعيل: "عندما سأقيم مشروعي، ستكون لنا شقة أجمل من تلك التي يريدون اسكاننا بها. ان لنا هنا سرير وما نحتاج اليه لتحضير طعامنا وهذا هو الاهم، زيادة على أن كل هذا ملك لي. واذا ما طردوني من هنا، فسأدبر حالي لكي أستقر في مكان آخر".

ـ أنطونيو الذى يبلغ من العمر ٢٠ سنة "يريد أن يسكن في عمارة، مثله مثل بقية الناس. أما هذا الكوخ، فلا يمكنني تقديمه لخطيبتي"، ولاجل ذلك، فانه يريد اقناع والديه ليقبلا بالسكن الجديد. الا أن هذين الاخيرين رفضا بشكل نهائي: "اننا لن نطلب شيئا، ولن نذهب، وسنبحث عن مكان آخر".

في المساحات الجرداء تنبت الاكواخ حيث تنظم جاليات صغيرة نفسها. وتتناول وسائل الاعلام هذه الظاهرة التي يتم فضحها في كل مكان كداء يتوجب القضاء عليه.

١٩٧٣

الدولة لم تعد تقبل بأية خصوصية في نمط السكن، ويتم تطبيق القانون بشكل صارم.

على طول الطريق تمتد مدينة من الصفيح برتغالية، كان الجزائريون أول من طردوا منها. سيتم تحطيمها وتوزيع سكانها على أحياء المحافظة دون أى اعتبار للعلاقات العائلية أو علاقات القرابة التي تحكمت في هيكلتها. وعندما يحتج السكان القلقون من هذا المصير، يرد عليهم الموظف قائلا: "ستمنحون مساكن، فماذا تريدون أكثر من هذا؟" انهم يريدون الانتقال الى دائرة معينة، ويشرحون مرارا وتكرارا سبب اختيارهم اياها، اما من أجل البقاء على مقربة من مكان الشغل، أو من أحد أعضاء العائلة. الا أن القانون لا يتضمن بندا ينص على ذلك.

لقد أدرمت النار في الساحة، ولم يتمكن السكان حتى من استرداد أمتعتهم. البرتغاليون الذين حصلوا على رخصة لجني خضرهم، يتناوبون لحراسة الالة التي كان

من المفروض أن تسقي الفاصولية، دون جدوى: سيتم نزعها من مكانها، وبيعها حالا لاحد تجار الحديد الذى تم اخباره سلفا. النساء تئن وتدرن وجوههن من الاكواخ المحطمة. اللهجة تتصاعد ما بين السكان و"فرقة الاستيعاب"، لتصل أحيانا الى صراع حاد. يقول شرطي: "في (س) كان الناس على علم بأنهم مجبرون على الرحيل. وفي الساعة المحددة كانوا كلهم داخل الاكواخ المقفولة. نادينا عليهم: لا شيء. نبهناهم: لا شيء! فوضعنا جرافة في المقدمة وأخرى في المؤخرة، وبدأنا ندفع من الصوبين، فخرجوا كلهم كالفيران، وكانت لاحدهم بندقية صيد، فقال لي: سأقتلك، فقلت لرئيسي: اترك لي هذا الرجل، ان لم يتم طرده، فسأقتله أنا بنفسي، فتم طرده فعلا... اليوغوسلافيون هم أصعبهم".

ان مدن الصفيح تعتبر ظاهرة مرضية. ويسمح هذا باخفاء ارادة تحطيم الجماعات والتقليل من قوة الحياة الجماعية وراء التبريرات الصحية.

١٩٨٢

(نقاط وملاحظات. الدراسة حيز الانجاز)

منذ مدة طويلة ملأت العمارات العالية والاعمدة الافق في الشمال والجنوب. والسؤال الذى يطرح نفسه، يتعلق بالاحياء القديمة التي لا تزال قائمة: هل يجب تحطيمها أو اصلاحها؟ وفي كلا الحالتين: "أين يمكن وضع العرب" الذين لجأوا الى المنازل الفقيرة والعمارات الصغيرة الباقية من القرن السابق؟ ان "الهاشيليم" لم تعد تقبل بهم، لانهم يعتبرون مسؤولين عن الضجيج الذى يسود بعض الاحياء، والذى يشكل أحد المواضيع الاساسية في الصحافة الاخبارية المحلية.

في جانفيليي، تموت أحد الازقة الصغيرة التي امتلأت بالفراغات التي تحدثها المنازل والعمارات المحطمة، بموازاة مع اختفاء سكانها القدماء. في المقهى الذى اشتراه سنة ١٩٢٤، والذى كان مزدهرا وقتها، لا زال "بيبي" يعرض بعض الكؤوس. و"بيبي"، الذى فقد زوجته الالزاسية، لم يعد ولا مرة واحدة الى الجزائر، "أما الان، وبعد أن بلغت أربعا وثمانين عاما، فلقد فات الاوان". جارته البروتونية، التي يسميها "فلاحتي"، كذكرى عن الوقت الذى اشتغل خلاله بمدينة بريست، تزوره كل صباح لتسأله عن أحواله، وتقدم له الحساء، وتطعم القطة. "انه يرفض لي الطعام في بعض الاحيان اذا ما ظن أن فيه لحم خنزير".

في عمارة خربة يعيش رجال بربر وكأنهم في جزيرة أعادوا تكوينها منذ ١٠ سنوات. هؤلاء الرجال الوحدانيين، المنحدرين كلهم من سوس، حيث تركوا زوجاتهم، يتقاسم كل اثنان أو ثلاثة منهم غرفتان ومطبخ خاليين من كل وسائل الراحة،

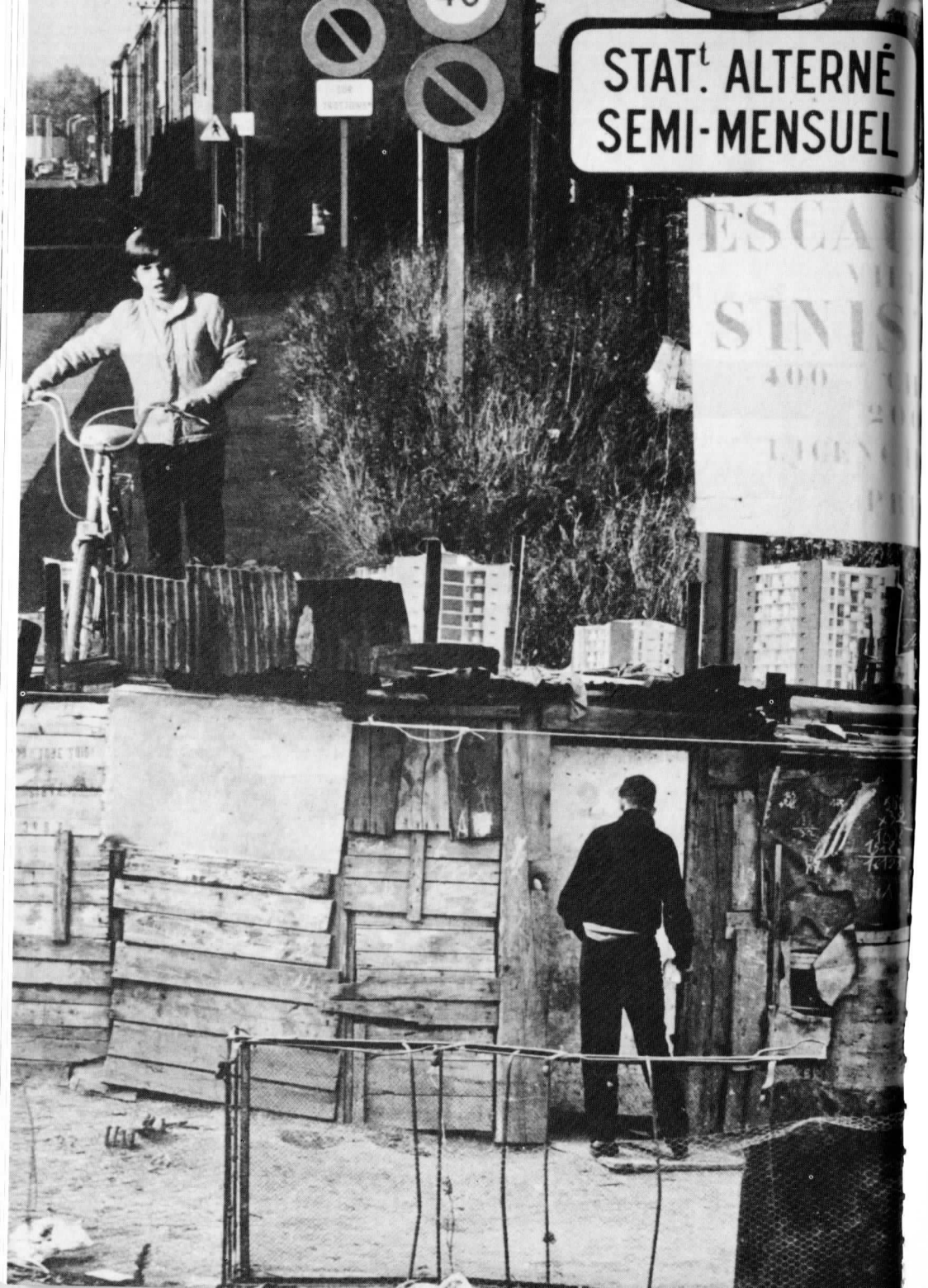

والتي غادرها الفرنسيون. في الطابق الثالث، لا زالت امرأة عازب، تأتي بالفحم لاستعماله في البيت الذى تسكنه منذ ١٩٣٤. انها تخشى "أن يرغمونها على مغادرة هذا البيت، الذى تشعر فيه بنفسها في أمان". منذ ثلاثة أشهر، جاءت زوجة لتسكن الشقة المقابلة، وهي لا تتكلم سوى البربرية.

دائما في نفس الطرف من الشارع، استأجرت مجموعة مغربية من مدينة وجدة، منزلا مبنيا بالاجور، يتقاسم كراءه ومصاريفه اليومية، أربعة رجال منهم يسكنون الطابق العلوى، وأربعة آخرون يسكنون الطابق السفلي، اضافة الى أبناء عمهم الاثنين في كل طابق. وأول من يرجع منهم الى البيت مساء، يقوم بتحضير الطاجين، أكلة المساء. انهم يسكنون هنا منذ ١٥ سنة، ويعيشون بدون نساء ولا خمر ولا تدخين. لقد تزوجت بناتهم وأنجبت لهم أحفادا. سيطالبون عما قريب بحقهم في التقاعد، وسيذهبون حينذاك، بشكل نهائي. أما الان، فانهم يقدمون الشاى بأناقة، مرتدين التشامير الذى يلبسونه في المنزل، بعد أن حلقوا وجوههم بشكل جيد.

في الطرف المقابل من الشارع، والى جنب منزل أنيق تملكه امرأة فلامنية مسنة، تسكن عائلة جزائرية كوخا حصلت عليه منذ ٢٠ سنة خلت. وتشتكي الام، التي تتفيّأ الشمس في الساحة، من لا مبالات زوجات أبنائها اللواتي "تركتنا نموت لوحدنا على الطريقة الفرنسية". الولد الاصغر ينتهي من تركيب جهاز للتسخين بالغاز، يعوّض الفرن الحالي. عندما يأتي الاحفاد الصغار في زيارة، يفتحون باب الجارة ويسألون: "هل توجد هنا ميمي؟".

في آخر الشارع، تسكن بنات مغربيات شققا تم تصليحها وفق القوانين المعمول بها، لكن وسائل الراحة الموجودة بها لا تعوّض عن ضيقها. ومنذ خمس سنوات وهن يطلبن دوريا من مكتب "الهاشيليم" مسكنا، دون جدوى "رغم أننا عصريات، ولنا أقدمية"، كما قلن بأسى.

هناك حاجة مستعجلة لوضع حد للخلط المعمّم، لان حكم الخلط يولد الجنـــــون.

كوليت بيتوني